

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ...) إلى أن يقول تعالى: (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)^١

في هذه الآية الكريمة توجد إشارات صريحة وعبارات واضحة تتحدث عن العلة الغائية للحج، وهي تحتاج إلى بعض الاستجلاء والتوضيح، وبعض التدبر في هذه الآيات سنكتشف أن هناك خمس علل وغايات ذكرت في هذه الآية الشريفة، لكنه من غير معهود — عادة — التطرق لها، وسوف نتوقف عند علة واحدة منها، لشدة ارتباطها بمعرفة الإمام المعصوم (عليه من الله الصلاة والسلام).

الغايات الخمس لتشريع الحج:

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) وهذا أمر إلهي للنبي إبراهيم ولبنينا محمد المصطفى ولإمام علي الخلق من بعده — كما سبق في البحث السابق — بدعوة الناس جميعاً للحج، ولكن لماذا؟

الجواب نستطلع من الآيات الشريفة مباشرة. اولاً) (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ). ثانياً) (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ). ثالثاً) (لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ)، وهذه هي العلة الغائية الثالثة للحج، والمجهولة عادة، وسوف نتوقف عندها قليلاً. رابعاً) (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ). خامساً) (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ).

ثم ليقضوا تفثهم هذه العبارة شديدة الصلة بحرف (الكاف) والتي توقفنا عندها في المحاضرة السابقة، في كلمة (ياتوك)، فهذه مكملة لتلك وهي النتيجة لها والترتبة عليها، وتلك (الكاف) ممهدة لهذه وهي العلة المعدّة لها، فماذا تعني (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ)؟

نقول: هنا مطلبان غريبان، وبعد التدبر فإنه يمكن اعتبارهما من مفردات إعجاز القرآن الكريم:

١) ان كلمة (تفث) مفردة غريبة، ليست موجودة في اللغة العربية بالمرّة حسب تحقيق المحققين من علماء الفريقين، وحسب تحقيق اللغويين ومنهم الزجاج، والأزهري، فهي ابتكار قرآني، لذا فإن معناها غير معلوم في العرف واللغة قبل مرحلة نزول هذه الآية الكريمة.

ومن الواضح أن المفردات القرآنية، عادة، مستخدمة أحرف في لغة العرب كما هو واضح لكنها من اعلاها وافصحها , واحلاها, واجملها, واروعها , وهناك مفردات اقتبسها القرآن الكريم من لغات أخرى وعربها , ولعلها تصل الى السبعين مفردة , وقد صرح بها اللغويون والمفسرون مثل لفظة (إستبرق) وغيرها.

لكن هذه الكلمة (التفت) — ولعلها الوحيدة — غير موجودة في لغة العرب قبل هذه الآية حسبما صرح به عدد من اللغويين إذ قالوا: أننا لم نعهدها في لغة العرب المرة , ولا نعرف معناها من العرب, وإنما طريقنا الى معرفتها هم المفسرون فقط, ونضيف: المفسرون لابد لهم إذن من الرجوع الى مصدر الوحي مباشرة , فلا توجد واسطة من لغة عربية او عرف او غير ذلك، في هذا الحقل , وإنما علينا ان نسال من الرسول (صلى الله عليه وآله), او من الامام مباشرة مامعنى هذه الكلمة القرآنية المبتكرة ؟

يقول صاحب لسان العرب^٢: (قال الزجاج : لا يعرف أهل اللغة (التفت), الا من التفسير). ونقول: أهل التفسير لا طريق لهم الا من الذين نزل الوحي في بيوتهم . كذلك ينقل الشيخ الطوسي في (التيبان)^٣ عن الأزهرى, نظير هذا الكلام . ثم ان اللغويين والمفسرين ايضا اختلفوا في معناها : فقد قيل ان (التفت) هو الوسخ , فـ(ثم ليقضوا تفتهم) أي وسخهم , أي القذارة البدنية .

فالزحخشري مثلاً يقول : (قضاء التفت : قص الشارب , والأظفار , ونتف الابط , والاستحذاء, والتفت : الوسخ , المراد قضاء ازالة التفت)^٤. وهذا كلام^٥ مربك , ومضطرب.

وهناك تفسير اخر: أن التفت : نتف الشعر والحلق وليس (الوسخ)^٦ . كما ينقل : ان التفت هو النسك , فـ(ثم ليقضوا تفتهم) أي نسكهم.

٢) وهي ايضا غريبة: اذ كيف تجعل هذه غاية للحج؟ بناء على هذا التفسير الذي نقلناه عنهم في النقطة الاولى , وهل يعقل ان يدعو الله تعالى ملايين الحجاج ومن مسافات شاسعة وعلى مر العصور والأزمان لكي تكون إحدى غاياتهم التي جاءت بها السماء: ان يقصوا بعض أظفارهم؟! او يأخذوا بعض الشعر؟! فغن هذا هو مفاد هذا التفسير الصادر من اللغويين والمفسرين الذين لم يجدوا لهذه الكلمة وجهاً ومعنىً ووروداً وجوداً في اللغة العربية بالمرّة قبل نزول الآية؟ علماً ان الإنسان يمكن ان يؤدي ما ذكر , من قص الأظفار وغيرها , في بيته, وبشكل أفضل!! وعلماً بأن المطلوب أخذ شيء من الشعر أو الأظافر لا كلها^٧, أي ليست النظافة الكاملة هي الغاية المأمور بها! فهذا تساؤل مهم وجوهري , ولم اجد من المفسرين من طرح هذا التساؤل وأجاب عنه,

^٢ لسان العرب/ مادة تفت.

^٣ تفسير التبيان / سورة الحج/ الآية ٢٩.

^٤ تفسير الكشاف سورة الحج الآية ٢٩.

^٥ (أي قوله إن المراد قضاء إزالة التفت)

^٦ فهل (التفت) نفس الوسخ؟ قول. أو إزالة الوسخ؟ قول آخر، أو النسك قول؟

^٧ كما عليه الفتوى فقيهاً.

والجواب على ذلك : هو ما نجده عند ائمتنا الذين نزل القرآن في بيوتهم , فالامام الباقر والامام الصادق (سلام الله عليهما) يفسرون الآية ويذكرون ماهو معناها , وما هو معنى المفردة الغريبة التي لم ترد في لغة العرب , فاين تذهبون ؟ واين يتاه بكم؟

إن أئمتنا الأطهار أوضحوا لنا بصريح القول إن معنى: (ثم ليقتضوا تفثهم) أي: ليلتقوا بالإمام(عليه السلام). **فقتضاء التفث:** هو لقاء الإمام , وأن يذهب المسلم الى الحج , لا لكي يقص اظفاره — وان كان هذا جزء المطلوب, لكن ليس بشرط لا , ولا نقول انه منتف بل هو ثابت بالروايات, لكن ان يكون هو بوحده , وبما هو هو أو بنحو بشرط لا, فهو ليس معقولاً أن يكون من غايات الحج . وانما المراد من (ليقتضوا تفثهم): أي ليزيلوا الاوساخ الباطنية بالشرك بالله سبحانه وتعالى , وبانكار رسول الله (صلى الله عليه وآله), وبانكار الاوصياء الذين عينهم (صلى الله عليه وآله)^٨, هذه هي الاوساخ الباطنية, وايضا تتبعها الأوساخ الظاهرية , وهذا هو المعنى الذي يصلح ان يكون غاية للحج . فالهدف من الحج ان تتعرف على خليفة الله في الكون , وهذا هدف معقول , بل هو من اكبر الأهداف التي اقتضت الحكمة أن يشرع الحج لأجلها. إن الله تعالى يريد من عباده ان يذكروا اسمه سبحانه ويتعرفوا على إبراهيم خليل الرحمن — وقت إمامته — ورسول الله(صلى الله عليه وآله), وعلى أوصياء رسول الله, وصولاً إلى الامام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) .

وهناك روايات عديدة تشير الى هذا المعنى , نقرأ رواية واحدة منها وهي ونظائرها مذكورة في عدد من اصح كتبنا, كما في كتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق : (عن ابي عبدالله (عليه السلام): في قوله تعالى: ثم ليقتضوا تفثهم, قال: التفث: لقاء الامام)^٩ وهناك رواية اخرى ذكرناها فيما سبق ((عن ابي عبيدة قال: سمعت أبا جعفر(عليه السلام) وراى الناس بمكة وما يعملون قال فقال فعال كفعال الجاهلية اما والله ما امروا بهذا وما امروا الا ان يقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم (...))^{١٠} اذن : ثم ليقتضوا تفثهم : أي ليقتضوا هذا الدين الذي على عاتقهم وهو الإقرار لديهم بالولاية لهم وإخبارهم بها وعرض النصرة على خلفاء الله في الكون ونحن نقاشنا مع المخالفين نقاش مصداقي , فالمخالف قد يناقشنا ويقول مثلاً ان الامام الصادق (عليه السلام) ليس حجة الله على الكون من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله), فنستدل عليه بالآيات والروايات الكثيرة الصريحة والصحيحة المذكورة في المراجعات والغدير والعبقات وغيرها. ولكن مع قطع النظر عن النقاش المصداقي فانه لا ينبغي أن يكون للمخالف إشكالكبروي على الموضوع أي نقول له لو (فرض)^{١١} ان الامام علي (عليه السلام) او الامام الصادق (عليه السلام) او الامام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)

^٨ أقول: لعل تخصيص هذا الأخير بالذكر في الروايات، لأن المسلم الذاهب للحج، المفروض أنه مؤمن بالله وبالرسول، لكن عليه أن يؤمن بالخليفة الشرعي أيضاً، ولأنه مما أعرض عنه أكثر المسلمين فقد خصص بالذكر.

^٩ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٩٠ ح ١٤٣٢ وعنه تفسير البرهان سورة الحج آية ٢٩ .

^{١٠} الكافي الشريف ج ١ ص ٣٢٣ ح ٢ وعنه تفسير البرهان / سورة الحج الآية ٢٩ .

^{١١} من باب ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

هو خليفة الله في الكون كله، ألا ترى أن المعنى على القاعدة وان الله يشرع الحج لغايات منها: ان تتعرف على خليفته في الأرض والذي وردت من طرقهم ايضا روايات كثيرة مثل (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية)؟

والحاصل: ان ليقضوا تفثهم: أي لكي يعرفوا امام زمانهم , ويعرضوا عليه ولايتهم , وإيمانهم , ونصرتهم , لأنه خليفة الله في الكون , وأن على الإنسان أن يحج ليتحقق أهداف كبرى منها: أن تلتقي بخليفة الله في الارض , فكما وفدت على بيت الله فتفد على خليفة الله فتتعرف من خلاله على واجبك في هذا الكون , وما الذي عليك فعله وقوله.

وهذا البحث له تفصيل, لا يسعه المقام, ومباحثنا هذه تستدعي المزيد من الكلام والتوضيح والتأييد والاستشهاد, لكننا نريد أن نفتح مجالاً وطريقاً للبحث لكي يسلكه ويعمق فيه ويتوسع فيه الأفاضل من الباحثين.

التعرف على الامام والآن لتتوقف عند هذه الغاية الكبرى وهي التعرف على الامام , وهي مساله فيها بحار من المعارف والمباحث, وعلمنا ان نستعرض الألوف من الروايات لكي نتعرف بعض الشيء على بعض حقهم, وعلى بعض قدرهم , وعلى جانب من جلاله مترلتهم وعظيم شانهم (صلوات الله عليهم أجمعين). وهنا نقرأ رواية واحد فقط تكشف بعض الشيء عن مقام الإمام وجلاله مترلته، وسنختارها باعتبارها ترتبط بأيام (عرفه) وأيام زيارة الامام الحسين (عليه اذكى الصلاة والسلام) فمن حُرْم الحج , فبديله^{١٢} ان يذهب في يوم عرفة الى كربلاء فيزور سيد الشهداء (عليه الصلاة والسلام), فما الذي له من الاجر ؟ هذا ما نتعرف عليه من خلال الرواية الشريفة الآتية : فقد ذكر الشيخ الطوسي^{١٣} في مصباح المتهدد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من زار الحسين بن علي يوم عرفة كتب الله له الف الف حجة^{١٤}...). وهنا نتوقف قليلا لكي نتعرف على بعض مترلة هؤلاء الذين أمرنا ان نحج لكي نتعرف عليهم, ونقضي الدين الإلهي الموجود بدمتنا , وفي أعناقنا , ونخاطب الحجر الأسود ايضا **قاصدين** : امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة .

وهنا قد يثير البعض تساؤلاً: هل هذا الامر معقول؟! .. الف الف حجة مقابل زيارة واحدة للإمام الحسين؟! ومن يقبل ان تعادل الزيارة للامام حجة واحدة فكيف بمليون حجة؟! وهذا السؤال قد يطرحه الموالى وقد يطرحه المخالف , وسوف نجيب الاثنين ان شاء الله تعالى , اما الشيعي الموالى فببركة نور الولاية, وحب اهل البيت (عليهم السلام) الموجودين في قلبه , سيدعن مسلما لعظيم ذلك المقام , وخطير ذلك المترل, نظراً للروايات الموجودة والكثيرة في كتبنا وأما المخالف فلنا عليه أدلة عديدة لكن سنذكر الآن إحدى الوجوه التقريبية للمخالف

^{١٢} بل هو الأفضل لمن ليست عليه الحجة الواجبة، كما سيظهر من الرواية.

^{١٣} وكفى بالطوسي وهو ذلك العلم الشامخ, ان يودع مثل هذه الرواية في كتابه , ولا نحتاج بعد إيداعه إياها ان نحقق عن السند فقد أوضحنا في قاعدة الإلزام (حجية مراسيل النقات) تبعاً للشهيد الثاني والشيخ البهائي وغيرهما, مع ان التحقيق ان هذه الرواية ونظائرها من الروايات التي تقارن بين الحج وزيارة الامام الحسين, متواترة تواترا اجماليا قطعيا , والعديد منها صحاح أو موثقات أو حسان .

^{١٤} أي مليون حجة , لكن لفظة (مليون) لم تكن موجودة في السابق او على الأقل لم تكن متداولة , لذا نجد الكثير من الروايات تعبر بـ(الف الف) عند اراد المليون من الأعداد

لكي يدعن من طريقه وعبر الحجج التي يسلم بها ولا يكون له مجال للانكارأبداً. لكن بعد ان نكمل الرواية الشريفة لان فيها ذكر اللقب الخاص بالامام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)^{١٥}

تقول الرواية (.....) كتب الله له الف الف حجة , مع القائم , وألفألف عمرة مع رسول الله (صلى الله عليه واله) , وعتق الف الف نسمة , وحملان ألف الف فرس في سبيل الله , وسماه الله عبدي الصديق آمن بوعدني , وقالت الملائكة فلان صديق زكاه الله من فوق عرشه وسمي في الارض كرويبا)
ولنا من الادلة على من ينكر من المخالفين من العامة , من طرقهم ومبانيهم , الكثير من الادلة , لكننا ههنا نكتفي بدليل واحد لضيق المقام :

(القياس) القياس يعتبر مصدراً من أهم مصادر التشريع عندهم, وان كنا نرفضه نحن في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) فإن اول من قاس هو ابليس, لكن اهل العامة الكثير من فقههم مبني على القياس والاستحسان , بحيث ان الزمخشري ينقل: ان ابا حنيفة كان يفاضل بين الفرائض , ثم عندما ذهب الى الحج عندها لم يكن يفضل على الحج شيئاً من العبادات. قياساً واستحساناً. ونحن نلزمهم بما الزموا به انفسهم فنقول: هذه الرواية حسب مقاييسهم هي على القاعدة, كيف ؟ **نقول** : هناك آيتان في القران الكريم لا بد أن نقارن بينهما لنكتشف المفاضلة بين الطرفين: الاية الاولى: (وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) ومعنى ذلك ان المكلف بتطهير البيت من الاصنام , ومن القذارة الظاهرية :هما ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) لكن عندما نأتي الى اهل البيت (عليهم السلام) نجد ما لا يقارن بذلك فكما ورد في صحيح مسلم والذي يعتبرونه من اصح كتبهم , نجد في باب فضائل الحسن والحسين : (قالت عائشة : خرج النبي غداً , وعليه مرط مرحل من شعر اسود , فجاء الحسن بن علي فادخله , ثم جاء الحسين فدخل معه , ثم جاءت فاطمة فادخلها , ثم جاء علي فادخله ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذه الرواية التي تشير بصراحة الى حديث الكساء وردت بعدة طرق من كتبهم المعتمدة.

والآن لتوقف عند (القياس) بين الآيتين الشريفتين: **القياس الأول**: ان الله تعالى , بذاته القدوسية هو الذي تصدى لتطهير اهل البيت (عليهم ازكى الصلاة وازكى السلام) مباشرة , ولم يوكل ذلك الى نبي من الانبياء على العكس تماماً من تطهير بيته فإنه تعالى اوكل امر تطهير البيت الى ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام).

فعلى حسب مبانيهم في القياس: اين ابراهيم من رب العزة والجلالة؟, ابراهيم على علو منزلته يبقى عبداً من عبيد الله تعالى الصالحين، وأين الخالق من المخلوق؟ وهذا بديهي واضح، وعليه فحيث أن الله تعالى رب العزة والجلال

١٥ وهنا اقول : من المعروف الاستحباب المؤكد , واقتداء بالامام الرضا (عليه ازكى الصلاة والسلام) اذ كان يقف عند ذكر اسمه المبارك ويضع يده على راسه , لذا أحاطب الخطباء الكرام : عندما تأتي رواية فيها ذكر اللقب الخاص بالامام (عجل الله فرجه الشريف), فلا يعدلوا منه الى لقب آخر خشية المشقة على الناس بامثال القيام , بل القيام أمر حسن محمود, وهو شعيرة عظيمة من شعائر الله ولو قدر لها ان تنتشر وتتوسع في شرق الارض وغربها , في الفضائيات او في المجالس (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) فانها من افضل القربات .

بنفسه هو الذي تصدى لتطهيرهم (عليهم السلام) مباشرة وبدون واسطة, وهذا من اعلى المقامات, ان لم يكن اعلاها على الاطلاق, فأين (هم) من (بيت الله) الذي أوكل تطهيره إلى عبد من عباده؟

هذا هو القياس الاول وهو من جهة ملاحظة حال (الفاعل). القياس الثاني بين هذه الاية الكريمة وبين تلك الاية الشريفة, هو من جهة ملاحظة حال (القابل), فنقول: ان الكعبة جماد شرفها الله تعالى بانتسابها اليه, والتطهير فيها هو تطهير ظاهري بان لا تكون فيها اصنام, او قدارة ظاهرية, اما الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فطهارته طهارة معنوية جوهرية سامية لانه نبي, وله روح, وله ماله مما يمكن ان يمتحن به وقد نجح في كل الامتحانات وفي كل العوالم, وهكذا اهل بيته الكرام حيث نجحوا في الامتحان فـ(طهروا تطهيرا), واين هذا من جماد طهّرها ظاهريا؟— رغم جلالة الكعبة كما لا يخفى — فأين الجماد الذي طهّر بقسر وجبر ودون مدخلية له من إرادة ونجاح واين الروح والنفس الناطقة التي طهرت, ولها كل الإرادة في (اختيار أحد النجدين) وقد نجحت أي نجاح في كلا الامتحانان؟ (وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) اين هذا من ذاك؟

والحديث مطول.. نكتفي منه بهذا القدر.. مع ان له تنمة بل تتمات, لكننا في الختام نؤكد: اذا كانت الرواية تصرح بان زائر سيد شباب اهل الجنة الذي طهره الله تطهيرا, له من الأجر ضعافا ضعاف الاجر الموجود لزائر بيت الله تعالى وهو الجماد المشرف بنسبته الى الله سبحانه, فانه ليس خلاف القاعدة بل هو على القاعدة إذ أين من يزور ما طهّره الله تعالى بنفسه, ممن يزور ما طهره مخلوق من مخلوقاته؟

بل إن (مليون) ضعفاً ليست بالغريبة أبداً، ألا ترون أن فضل الخالق على الخلق ليس بمليون ضعف بل بما لا نسبة ولا قياس أبداً، أفيستغرب أن يكون فضل زيارة ما تولى تعالى تطهيره مباشرة على غيره، مليوناً أو أكثر؟ وهناك روايات وأدلة أخرى من طرقهم, لعلنا نتطرق لها في المستقبل ان شاء الله تعالى

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين...